وضع الجاليات المسلمة في المجتمعات الأوربية (الغربية)

أ.م د. بان غانم احمد الصائغ
كلية العلوم السياسية - جامعة الموصل

المؤتمر العلمي السنوي الأول لكلية التربية الأساسية (٢٣-٢٤/أيار/٢٠٠٧)

ملخص البحث :

تحمل صورة الإسلام والمسلمين في اوربا صورة نمطية مشوهه ،واهم ملامح هذه الصورة النمطية صبغ الإسلام والمسلمين بصبغة التخلف والعنف والتطرف ، وتبنت وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والصحف الغربية بشكل ملحوظ التشوية السافر ضد الإسلام والمسلمين بعملية منظمة ومخطط لها ، ما أدى الى تعميق الهوة بين المسلمين والاوربين، وحتى في الدول العلمانية ، فلم يكتب لهذه الدول النجاح في ان تكون علمانية تماما لما فيها من مشاعر معادية للمسلمين ، وعمليا لم يتسلم مسلم أي منصب وزاري او اداري مهم في هذه الدول لتعاطف المقترعين مع المرشحين المسيحيين . وقد تعززت ظاهرة العداء والعنصرية ضد العرب والمسلمين في اوربا في ضوء تراجع الاوضاع الاقتصادية فيها ، فمشكلة الجاليات المسلمة هي مشكلة ثقافية وحضارية وسياسية ، وهناك مشكلة اخرى في العنصرية ضد المسلمين على الرغم من ان الدين الإسلامي يأتي في المرتبة الثانية بعد الديانة المسيحية في اوربا الان معظم دول اوربا لاتعترف بوضع الجاليات المسلمة رسميا ويترتب على ذلك ضياع الكثير من الحقوق المدنية والدينية للجاليات المسلمة . وبالتالي فان شعور الجاليات المسلمة بالحصار والمواجهة يدفعها الى اتخاذ ردود افعال دفاعية وكذلك تعزيز صلتها بهويتها والحرص على الاعتزاز المغالي بها وشعورها بالتفوق كتعويض عن تهميشها على المستوى السياسي .

ويمكن تصنيف الجاليات المسلمة في الغرب الى ثلاث فئات وهي المستوعبين والمندمجين والمتمردين . ولكن تعترض هؤلاء اشكالية الاندماج في المجتمعات التي هاجروا اليها ، فالاندماج يفضي ترك المسلمين لمفردات شخصيتهم التي قوامها المسلكية الحياتية التي رسمت ابعادها الثقافية الإسلامية وهذا الهم لم يؤرق المسلمين فحسب بل كذلك حكومات الدول الاوربية التي توجد الجاليات المسلمة على أراضيها . فضلا عن مواجهة الجاليات المسلمة الى العديد من المشكلات في المجتمعات الغربية وتختلف التحديات التي يواجهها المسلمين من بلد اوربي الى أخر منها مشكلة الحجاب وعدم الاعتراف بالدين الإسلامي والذوبان في المجتمعات غير الإسلامية والاختلاف بين المسلمين في اوربا وبروز جماعات التطرف وغياب المرجعيات الإسلامية كما ان هناك غيابا للزعامة السياسية والقوة الاقتصادية المسلمة وعدم امتلاك وسائل الاعلام وتفاقم المشكلات الاجتماعية للجاليات المسلمة .

The Situation of Islamic Communities in Europeans Society (Western)

Assist .Prof.
Dr. Ban Khanem Ahmed
Collage of Political Sciences – University of Moul

Abstract:

The image of Islam and Muslims in Europe has a typical distorted picture. The major features of this stereotypical image of islam are backwardness, violence and extremism. Western media television, radio and newspapers adopted a remarkable blatant distortion against Islam and Muslims in an orderly and planned process which led to a deepening gap between Muslims and Europeans. Even the secular states are not successful to be exactly secular because of this hostile feelings against Muslims. Practically, Muslims, in these states, didn't receive any ministeral or administrative position for the sympathy with the Christian candidates. The racial phenomenon aganist Arabs and Muslims has been strengthened, in Europe, in the light of declining conditions there. The problem of Muslim communities is a cultural, civilized and political one. there is another proplem which is racisim against muslim. Although Islamic religion comes in the second rank after Christianity, most of the European countries do not recognize the Muslim communities' status. Cousequently, they lost much of their civil and religions rights. The feeling of siege and confrontation led Muslim communities to adopt defensive reactions and enchance their relationship with thear identity. They had also a feeling of superiority as a compensation of being politically on the shelf.

In West, Muslim communities can be classified into three categories: assimilated, prosperous and rebels. But these are confronted

with the problem of integration in the Western society, since integration leads Muslims to leave the wereases of their personalities and their behavioural life which have been mapped out by Islamic culture. This has not been only of concern to Muslims but also to the European governemnts. In addition, there are amny problems that Muslims face in Western societies which differ from one European country to another, like the problem of veil, non-recognition of Islam, melting in non-islamic communities, the difference between Muslims in Europe, the emergence of extremist groups, absence of islamic references. There is also an absence of political leadership and Islamic economic power, as well as, non-ownership of media means and excacerbation of Muslim communities' social problems.

مقدمة :

تعود هجرة العرب والمسلمين الى اوربا والولايات المتحدة الامريكية الى القرن التاسع عشر،ونشير بهذا الصدد الى ان الهجرة الاولى للعناصر الإسلامية في القرن العشرين كانت بعد الحربين العالميتين الاولى والثانية وكان معظمهم من الجنود الهنود والباكستانين الذين حاربوا مع بريطانيا ، في حين اتجه المهاجرون من شمال افريقيا الى فرنسا وبلجيكا وهولندا واسبانيا ، اما المهاجرون من أصول تركية فاتجهوا نحو المانيا ، وذلك نتيجة للطلب على العمالة الرخيصة لتشغيل مصانع اوربا بعد الحرب . وتحول هؤلاء المهاجرون الى أرقام حقيقية في المعادلة السكانية والاجتماعية ، وتمكنوا من الحصول على الجنسية في البلدان التي قطنوا فيها . وشرع هولاء المهاجرون الى بناء المساجد ونشر الصحف والمجلات ذات الميول الإسلامية ،ويؤدي استقرار المسلمين في بلاد غير إسلامية الى تبني توجهات متعددة يتحكم بها التعدد الكبير لثقافات المهاجرين ، وكذلك احتكاكهم بثقافات وتقاليد المجتمعات التي عاشوا فيها .

وفي الحقيقة يعاني المسلمون الموزعون على كثير من دول العالم من ظروف صعبة، ويتهدد البعض منهم مخاطر جمة نتيجة العدوان عليها واهدار حقوقها والعمل الدوؤب على طمس هويتها بل وممارسة التطهير العرقي ضدها من قبل الجماعات المتنفذة .

وسنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على النظرة الاوربية للإسلام والمسلمين والصفات التي تلصق بهما من تخلف وعنف وتطرف ، وقد تبنى الاعلام الغربي التشويه للمسلمين والإسلام عبر برامجه السمعية والمرئيه والمقروءة ، فضلا عن المؤسسات التعليمية وما

تقدمه من مناهج مناهضة للإسلام والمسلمين ، وتنفذ هذه البرامج وفق خطط مدروسة ومنظمة لتحقيق اهدافها من العالمين العربي والإسلامي . كما سنتناول واقع الجاليات المسلمة في تلك المجتمعات اذ سعت المجتمعات الاوربية الى حماية الاقليات والجاليات المتعددة الديانات والثقافات بالعلمانية ، غير ان الكثير من البلدان الغربية ليست علمانية بحتة كما هو الحال في الولايات المتحدة الامريكية ،وقد نجحت الدعوات من أجل حشد التعاطف المسيحي ضد المسلمين ، ويبدو ذلك واضحا من خلال ابعاد المسلمين عن أي منصب اداري أو وزاري لاسباب تتعلق بردود افعال سياسية ، وعلى العكس من ذلك فاننا نتلمس بوضوح مظاهر حماية الاقليات الدينية في الدول الإسلامية عبر تاريخها الطويل بوصفهم أهل كتاب . لكن الجاليات المسلمة على الرغم من وجود اعداد كبيرة منها في المجتمعات الغربية ظلت تعاني من تراجع في أوضاعها الاقتصادية ونتائج التمييز العنصري ضدها . وسنسلط الضوء على اشكالية أندماج الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية القاطنة معها اذ اصبحت هذه الاشكالية هما لدى المسلمين ، والحال كذلك بالنسبة للحكومات ، وهناك العديد من الاسباب التي منعت الاندماج في المجتمعات سوف نتناولها في ثنايا البحث .

وسنحاول التعرض الى المشكلات التي تعاني منها الجاليات المسلمة في الغرب ، منها عدم الاعتراف بالدين الإسلامي بشكل رسمي والذوبان في المجتمعات الغربية والاختلاف بين الجاليات المسلمة . فضلا عن غياب الزعامة السياسية والقوة الاقتصادية ، والاعلام والمشكلات الثقافية والاجتماعية .

النظرة الاوربية للإسلام والمسلمين

تحمل صورة الإسلام والمسلمين في اوربا صورة نمطية مشوهه ،واهم ملامح هذه الصورة النمطية صبغ الإسلام بصبغة التخلف والعنف والتطرف .ويقول محمد حسنين هيكل من خلال تقديمه موجزا للنظرة الاوربية للعرب والمسلمين بقوله :"انه يدهشنا الذي نراه احيانا من اختصار الإسلام الى ارهاب ،ومن اختصار العرب الى بترول ، ومن اختصار قضية الصراع العربي . الاسرائيلي الى حكاية معادية للسامية . " (١)

ان المتتبع للاعلام الغربي يلاحظ بشكل واضح التشويه السافر ضد الإسلام والمسلمين سواء على مستوى المواطن العادي أم المؤسسات ، وارتباط عمل المؤسسات بعملية منظمة ومخطط لها وهذا التشويه والاساءة موجوده في المؤسسات الاعلامية السمعية والمرئية

(١) ندوة العرب واوربا ، محمد حسنين هيكل ، (تعقيب) ، الباحث العربي ، العدد ٢٠ ، تموز- ايلول ١٩٨٩، ص ٣١ .

والمقروءة[١].كما يلاحظ ذلك في المؤسسات التعليمية ، كل ذلك يشير الى وجود عملية مدبرة لتشويه صورة المسلمين لدى المواطن الاوربي والامريكي ، وما تصاعد نفوذ التيارات اليمينية في اوربا وعدائها للجاليات المسلمة الأأحد المؤشرات الدالة على ذلك . على الرغم من جهود بعض الافراد والمؤسسات في اوربا لتقليص هذا التشوية لكنها تبقى جهودا محدودة لاتستطيع تغيير الواقع بشي يذكر[٢] .

ان الصاق التخلف والعنف والدموية والعدائية بالإسلام والمسلمين اصبحت هي الصفة التي يذكرها المواطن الاوربي والامريكي عند الحديث عن الإسلام والمسلمين ، وهناك عدم تمييز بين ممارسات العنف السياسي باسم الإسلام ، سواء من قبل الحكومات في العالم الإسلامي او الافراد او الجماعات ، وبين المضمون الفكري والاخلاقي والانساني والحضاري للإسلام القائم على العدالة والتكافل والحرية والسلام .وكأن عدم التمييز عملية مقصودة ،ترسخها الاجهزة الاعلامية والسياسية والحزبية والامنية الاوربية والامريكية . وربما كان ذلك مرتبطا في الوقت الحاضر بما يسمى "الخطر الإسلامي الجديد " ، الذي تبنى سياسات الدول الاوربية وفلسفاتها ومفاهيمها لمواجهته. وتتسع المحاولات للخلط والتشويه لتطال المقاومة الفلسطينية و اللبنانية ضد الاحتلال الصهيوني ، عبر اضفاء صفة "الارهاب الإسلامي " عليها. ولايعد هذا الخلط والتشوية بعيدا عن المؤسسات اليهودية ذات النفوذ على الوسائل الاعلامية والسياسية والتربوية في اوربا وامريكا. ونتيجة لذلك يؤدي هذا التشوية للإسلام والمسلمين الى تعميق الهوة بين المسلمين والاوربين ، ويخلف جوا مشحونا في التعامل مع العالم الإسلامي ،يتصف غالبا بعدم الانصاف والعدالة ضد الجاليات المسلمة [٣] . فعلى سبيل المثال زادت معدلات التشوية التي تتعرض لها صورة الإسلام والمسلمين في الاعلام الامريكي بشكل غير مسبوق ، لاسيما بعد احداث ١١/سبتمبر ٢٠٠١ ، فقد تدهورت صورة الإسلام في نظر الامريكيين والغرب مقارنة بالأديان الاخرى ، لاعتقادهم بأن الإسلام يشجع العنف أكثر . وانتشر خطاب العداء للإسلام والمسلمين ، لاسيما من قبل بعض القيادات اليمينية الامريكية المتشددة[٤].

وفي رد للادعاءت الغربية بأن الإسلام يولد عنفا و ارهابا ،لابد من الاشارة الى أن الغرب تغافل حقيقة واضحة للعيان وهي أن الثقافة الغربية تولد عنفا اكبر في الشارع . فقد قدمت

---

(١) وكالات الانباء والقنوات الفضائية العربية للمدة من ٢٠/١.١/٢/٢٠٠٦.

(٢) سامي الخزندار ،المسلمون والاوربيون نحو اسلوب افضل للتعايش ، (مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية،١٩٩٧)،ص ٢٢.

(٣) الخزندار ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٤) نهاد عوض ، المسلمون الامريكيون : الواقع وامكانات النمو ، المستقبل العربي ، العدد ٣٢٢، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،٢٠٠٥) ، ص ٨٠ .

الثقافة الغربية نسبة عالية من السفاحين . وعلى سبيل المثال فأن أكبر مدينة إسلامية في افريقيا هي القاهرة ، أما اكبر مدينة مسيحية في افريقيا تتسم بالطابع الغربي هي جوهانسبرج، وعدد سكان مدينة القاهرة أكبر بكثير منه في جوهانسبرج ، غير أن العنف في شوارعها يشكل ظاهرة واضحة اذا ماقورنت بالعنف في شوارع القاهرة التي يشكل العنف فيها جزءا قليلا جدا.فهل الإسلام ساعد على تهدئة القاهرة؟ نعم وهذا مايجمع علية الكثيرون ، فقد اقتضت القيم التي غرسها الإسلام الى تعزيز السلام في الحياة اليومية .ومثال أخر هو العاصمة الايرانية طهران فهي مدينة إسلامية يبلغ عدد سكانها نحو عشرة ملايين نسمة ، ويتجول سكانها وبقية المدن الايرانية الاخرى حتى وقت متاخر من الليل دون خوف من السرقة أو القتل .....الخ فهو مجتمع شهد عنفا سياسيا أبان الثورة في عام ١٩٧٩ . لكن العنف بين الاشخاص يعد أقل بكثير منه في واشنطن ونيويورك ، على الرغم من أن الايرانيين أكثر خضوعا لحكومتهم ، الاانهم أقل عرضة لخطر السلب والنهب من قبل عصابات الجريمة ، كما أن وجود حكومة دكتاتورية لايعد تفسيرا لأمن شوارع طهران والاكانت مدينة لاجوس آمنة مثل طهران . فالحل الايراني يكمن في المحيط الاخلاقي والقيم الإسلامية[١] .

واقع الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية

سعى الغرب الى حماية الاقليات الدينية من خلال العلمانية ، الاانه لم ينجح دائما ، فالمعاداة للسامية مثلا تثير الاضطراب في اوربا الشرقية ، كما تثيره الاتجاهات المعادية للمسلمين في فرنسا. أما في الولايات المتحدة الامريكية فهناك فصل بين الدين (الكنيسة) والسلطة منذ مائتي عام ، ومع ذلك فان السياسة الامريكية ليست علمانية تماما ، فلم يتم انتخاب رئيس غير بروتستانتي سوى مرة واحدة وهو جون كنيدي من طائفة الروم الكاثوليك. أما مايتعلق بالجالية المسلمة في الولايات المتحدة فيقدر عددهم بـ ٧ ملايين مسلم ، ومع هذا فان الشعور المعادي للمسلمين ونجاح الدعوات من اجل التعاطف المسيحي بين المقترعين يجعلان من غير المرجح أن ينتخب الامريكيون رئيسا مسلما للدولة في أي وقت من الاوقات. وحتى عملية تعيين مسلم في منصب وزاري ، ناهيك عن مناصب ادارية اخرى ، فهذا مجرد أمل بعيد المنال للمسلمين ، بسبب ردود الافعال السياسية المتوقع حدوثها والتي تخشاها الوزارات والدوائر الامريكية . فعندما استضافت السيدة هيلاري كلينتون (Hillary Clinton) زعماء المسلمين في البيت الابيض لتظهر اهتمامها بمناسبة إسلامية خاصة اوردت مجلة " وول ستريت جورنال "

(١) علي الامين المزروعي ، القيم الاسلامية والقيم الغربية ، (مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، بلا) ،ص ٢١.

ذلك بوصفه دليلا على اختراق اصدقاء حماس للبيت الابيض . وفي اوربا هناك عدة ملايين من المسلمين ، غير ان التاريخ ينتظر تعيين اول مسلم في منصب وزاري سواء في فرنسا ام المانيا ام بريطانيا [١] .

من جهة اخرى حاول المسلمون حماية الاقليات الدينية عبر تاريخهم الطويل. ولليهود والمسيحين وضع خاص بوصفهم اهل كتاب ، وهم الجماعات التي تؤمن بأن الله واحد ، كما حظيت الاقليات الاخرى لاحقا بوضع حماية الاقليات (أهل الذمة). وقد لقي هذا التوجه نجاحا ملموسا ، اذ بلغ اليهود مناصبا رفيعة في الاندلس ، وتولى المسيحيون في الدولة العثمانية مناصب سياسية عليا ، فقد كان في حكومة سليمان الاول (١٥٢٠-١٥٦٦) وزراء مسيحيون،وكذلك الحال في عهد سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) [٢] ،وفي القرن العشرين ، تولى طارق عزيز في العراق منصب نائب رئيس الوزراء وهو مسيحي ، وعين بطرس غالي المسيحي القبطي امينا عاما للامم المتحدة لعملة الطويل والدؤوب في وزارة الخارجية المصرية . وفي جمهورية السنغال في غرب افريقيا ، والتي يشكل المسلمون فيها نحو ٩٥% من السكان تولى منصب الرئيس مسيحي من الروم الكاثوليك لعقدين من الزمان (١٩٦٠-١٩٨٠) وهو ليبولد سيدار سنجور (Loopold Sedar Senghor)[٣] .

ولابد من ذكر حجم بعض الجاليات العربية والإسلامية في اوربا قبل الدخول في تفاصيل أوضاع الاقليات في اوربا أو الدول القاطنين فيها . فالمصادر الاحصائية الاوربية تشير الى ان المهاجرين العرب والمسلمين القاطنين في نطاق الاقتصاد الاوربي (European Economic Area,EEA) ، والتي تشمل الاتحاد الاوربي والدول الاسكندنافية وسويسرا ، تتوزع على النحو التالي :

الاتراك ٢,٤٠٠,٠٠٠ ،المغاربة ١,٢٠٠,٠٠٠ ، اليوغسلافيون المهاجرون ومعظمهم من المسلمين ١،٢٠٠،٠٠٠ ، الجزائريون ٨٠٠،٠٠٠ ، التونسيون ٤٠٠،٠٠٠ . اي ان العدد الاجمالي لافراد الجاليات المذكورة فقط يقارب (٦) مليون نسمة . ويشكل هولاء نسبة من حجم القوى الاجنبية العاملة في منطقة الاقتصاد الاوربي . فضلا عن وجود جاليات اخرى وهي الايرانية والبنغالية والباكستانية والهندية ، وبعض مواطني الدول الافريقية المسلمة سواء كانوا من المجنسين أم غير المجنسين [٤] .

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٢) موفق بني المرجة ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الاسلامية ، (الكويت، مؤسسة صقر للنشر، ١٩٨٤) ، ص ص ١٧٦-١٨٤.

(٣) المزروعي ،المصدر السابق ، ص ١٦.

(٤) الخزندار ، المصدر السابق ، ص٢٤.

وتختلف الاحصائيات الاوربية عن التقديرات العربية والإسلامية ، فالتقديرات الاوربية بحسب وجهة النظر العربية والإسلامية ترغب بتقليص العدد الحقيقي للجاليات العربية والإسلامية لاعتبارات سياسية واجتماعية وأمنية ، وتشير المراكز العربية والإسلامية في اوربا الى أن العدد يتراوح ما بين ١٥-١٦ مليون عربي ومسلم في أوربا [١] . وحوالي (٧) ملايين مسلم في الولايات المتحدة الامريكية ، مقسمين الى ثلاث مجموعات رئيسة وهي: الاسيويون ٣٣% والافارقة ٣٠% والعرب ٢٥% . كما تشير الدراسات الى أن هناك نموا سريعا للمسلمين في امريكا خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، فنسبة ٢% من المساجد في امريكا تم تاسيسها قبل عام ١٩٥٠، بينما تم تاسيس نصف المساجد في امريكا بعد عام ١٩٨٠، كما أن غالبية المساجد في امريكا ٨٧% تم تاسيسها في سبعينيات القرن العشرين ، ويعود السبب في نمو أعداد المسلمين في امريكا الى ارتفاع معدلات اعتناق الإسلام بين الامريكيين ، اذ يعتنق الإسلام كل عام حوالي ٢٠ الف امريكي ٧٠% منهم من الافارقة [٢] .

وتعتبر الجاليات المسلمة والعمالة الإسلامية المهاجرةالى اوربا عاملا محوريا في العلاقة السياسية بين اوربا والعالم الإسلامي ، سواء كان سلبا أم ايجابا . وعلى الرغم من حصول بعض أفراد الجاليات المسلمة على جنسية ، الدول الاوربية وأمريكا التي يقيمون فيها، الا ان هذه الجاليات تعاني من مظاهر العنصرية ، سواء على الصعيد الاجتماعي المهني أم الصعيد السياسي [٣] . فدور هذه الجاليات مهمش في صنع القرار السياسي حتى فيما يتعلق بشؤونها الخاصة ، وفي علاقتها بالاحزاب والنظام السياسي والدولة التي يعيشون فيها وكذلك فيما يتعلق بقضايا المشرق الإسلامي ، ويشير الباحث برهان غليون الى ذلك بقوله : "لقد كانت سنوات السبعينات حاسمة بالنسبة للمهاجرين العرب وبلدان الهجرة في الوقت نفسه ، ففي هذا العقد طرحت على العرب والمهاجرين مسالة الحسم النهائي لمستقبلهم . وفيه ايضا بلورت الدول الاوربية كما في المانيا وفرنسا بشكل خاص برامج واجراءات تشجع المهاجرين على العودة الى اوطانهم " [٤] .

---

(١) برهان غليون ، مستقبل الجاليات العربية في اوربا ، المستقبل العربي ، العدد ٢٠٩ تموز ١٩٩٦، ص ص ٥٨-٦٠.

(٢) عوض ، المصدر السابق ، ص ص ٦٩-٧٠ .

(٣) للحصول على امثلة في التمييز العنصري ضد المسلمين انظر على سبيل المثال :

Commission on British Muslims and Islam phobia , Islam phobia : Its Features and Dangers ,(London ,1997)

(٤) غليون ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

وفي ضوء تراجع الاوضاع الاقتصادية في اوربا ، وتصاعد العنف باسم الإسلام ، خاصة في اوربا في منتصف الثمانينات ، تعززت ظاهرة العداء والعنصرية ضد الجاليات العربية والمسلمة . وتتفاوت درجة التوجه العام لظاهرة العداء والعنصرية ضد الجاليات المسلمة بين الدول الاوربية بحسب الوضع الاجتماعي والمهني والثقافي للجالية .ومن الواضح أن أشد درجاتها كانت موجودة في فرنسا والمانيا ، لاسيما تجاه الجاليات المغاربية والعربية والتركية على الترتيب [١] .

ان مشكلة الجاليات المسلمة هي مشكلة حضارية ،ثقافية ، وسياسية بشكل عميق ، ويجب الاتنحصر هذه المشكلة في الاحصاء أو الديموغرافيا أو الفروقات في التقاليد فحسب ، لان الارقام التي ترد في هذا الاطار انما هي رموز ينبغي فكها . ومما لاشك فيه ان معظم الجاليات المسلمة في اوربا ترتبط عاطفيا وثقافيا ، الى حد كبير بأوطانهم الاصلية ، كما انهم ترتبط بالدين الإسلامي ، وبالتالي فان أي مواقف اوربية غير منصفة تجاه قضايا الجاليات المسلمة في اوربا ستنعكس سلبا على مواقفهم [٢] .

وهناك مشكلة اخرى مهمة تزرع بذور العنصرية في اوربا تجاه الإسلام ، فعلى الرغم من أن الدين الإسلامي يأتي في المرتبة الثانية بعد المسيحية من حيث عدد اتباعه في اوربا ، الاان معظم الدول الاوربية لاتعترف بوضع الجاليات (الاقليات) المسلمة رسميا ، ويترتب على ذلك ضياع الكثير من الحقوق المدنية والدينية للجاليات المسلمة . وبالتالي فان شعور الجاليات المسلمة بالحصار والمواجهة يدفعها الى اتخاذ ردود افعال دفاعية ، وكذلك الى تعزيز صلتها بهويتها ، والحرص على الاعتزاز المغالي فيها ، وشعورها بالتفوق ، كتعويض عن تهميشها على المستوى السياسي[٣] .

كذلك الحال بالنسبة للمسلمين ، فهناك عوامل عديدة أعاقت تحقيق التعايش يتحملون مسؤوليتها ومنها نشوء الكثير من الخلافات في أوساط الجاليات المسلمة في أوربا بسبب الاختلاف بين الدول الإسلامية حول الكثير من القضايا السياسية ، وعلى الرغم من موقف الجاليات الموحد تجاه بعض القضايا الإسلامية المحورية مثل القضية الفلسطينية ، التي تم التعبير عنها في المظاهرات العديدة والتي نظمتها تلك الجاليات لمناصرة اللقضية ، وعلى الرغمالرغم من المطالبة بالديمقراطية والحريات ورفض الدكتاتوريات في العالم الإسلامي ،

---

(١) الخزندار ، المصدر السابق ، ص٢٦

(٢) هرفي لوبرا ، الاجانب ارقام ورموز ، العالم العربي في البحث العلمي ، معهد العالم العربي ، باريس، ١٩٩٦ ، عدد ٦ ، ص ٩٣ .

(٣) الخزندار ، المصدر السابق ، ص ٢٧

والشعور العام لدى الجاليات المسلمة بالخذلان ازاء مواقف معظم قادة العالم الإسلامي تجاه القضايا التي تمس الإسلام مثل قضية سلمان رشدي [١] .

الان هناك خلافات سياسية وحزبية ومذهبية ، وكثيرا ماتظهر هذه الموسسات والمراكز الثقافية والدينية خلافاتها في اوربا ، لاسيما في فرنسا والمانيا ، وقد أسهمت هذه الخلافات بين الجاليات المسلمة وماتزال تسهم في اضعاف نفوذها ودورها في الدول الاوربية. فضلا عن مشكلة مهمة لها علاقة بوضع الجاليات المسلمة في اوربا ، وهي ازمة تمثيل وقيادة الجاليات المسلمة ، اذ يصعب على الدول الاوربية في الكثير من الاحيان التحدث مع قيادة موحدة وشرعية تمثل الجالية فيما يتعلق بشؤونها . فوجود ازمة تمثيل تؤثر سلبا على الجالية المسلمة، مما يجعلها غير مؤثرة أو فاعلة في صنع القرار السياسي في البلد الاوربي الموجودة فيه . وفي المقابل تتحدث اوربا كثيرا عن الاقليات غير العربية والمسيحية في الدول العربية والإسلامية ، من حيث انها تعرض تلك الاقليات الى الاضطهاد واضاعه لحقوقها الانسانية مثل الاوضاع في جنوب السودان والبربر في الجزائر ، كي تدخل ضمن تصفية حسابات الصراع السياسي بين بعض الدول الاوربية وبعض الانظمة العربية والإسلامية [٢] .

تصنيف الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية

على الرغم من اختلاف الظروف والاوضاع التي ادت الى هجرة المسلمين الى اوربا والولايات المتحدة ، الاانهم شكلوا نسبة يحسب حسابها ، وغدا ملف المهاجرين معضلة لدى الدول الاوربية فيما يخص قضايا الامن والحريات وحقوق الانسان والعنصرية واللجوء السياسي ، ومشكلات الفقر والبطالة والتهميش وتحديات الاستيعاب والاندماج والمواطنة والتطرف اليميني

---

(١) اصدر سلمان رشدي روايتة " ايات شيطانية " عام ١٩٨٨ في بريطانيا . وعدها المسلمون في حينها رواية تعرضت الى الاسلام تعرضا ساخرا ، واستنكر المسلمون ماقدمه رشدي في روايته لانه يشوه الاسلام تشويها فاحشا ، وحظرت معظم الدول الاسلامية هذه الرواية واعتبرتهامقززة من الناحية الاخلاقية . المزروعي ،المصدر السابق ، ص١٠ وكذلك التعرض في بعض البلدان الاوربية بما يمس المشاعر الدينية للمهاجرين مثل الفيلم الذي أخرجه المخرج الهولندي فان خوخ ، الذي يعد مسيئا للاسلام اذ ادى الى ردود فعل سلبية لدى المسلمين وصل الامر الى مقتله على يد شاب مغربي في تشرين الثاني ٢٠٠٤ الذي أوجد بدوره ردود فعل عنيفة وساخطة من قبل الراي العام الهولندي والاوربي . كذلك نشر اثني عشر صورة كاريكاتورية في الصحف الدانماركيةفي ايلول ٢٠٠٥ مسيئة للرسول الكريم والاسلام .للمزيد انظر:ناصر حامد ، المهاجرون في اوربا بين مكافحة الارهاب ومشكلات الاندماج ، السياسة الدولية ، العدد ١٦٣، يناير ٢٠٠٦، ص ص١٩٥-١٩٦.

(٢) الخزندار ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

والارهاب ..... ونمو المشاعر العنصرية والتمييز اليميني ضدهم ، لذا لابد من تصنيف المهاجرين العرب والمسلمين الى ثلاث فئات وكما يلي :

١. فئة المستوعبين (Assimilated) وهي فئة انصهرت وتم استيعابها في البناء الثقافي والاجتماعي الغربي في اطار نفس القيم والعادات والتقاليد الغربية ، وهي الفئة التي حققت نجاحات وظيفية وعلمية رغم محدودية عددها .
٢. فئة المندمجين (Integrated) وتضم أعدادا ضخمة من الشباب الذين يعيشون بسلام في مجتمعاتهم الاوربية الجديدة ، مع حفاظهم على التقاليد الثقافية والدينية لمجتمعاتهم الاصلية ومازال اباؤهم من الجيل الاول من المهاجرين يحتفظون بتأثير قوي لتلك التقاليد .
٣. فئة المتمردين (Rebels) وهم الذين يرفضون الاندماج مع الاوربيين أو لاتتوفر لهم ظروف الاندماج ، ويسكنون في احياء منفصلة مع احتفاظهم بنفس عادات المأكل والمشرب والثقافة والموسيقى الخاصة ببلدانهم الاصلية ، وهذه الفئة تحديدا ، التي يتكون معظمها من الفقراء والمهمشين ، هي مصدر احداث العنف واسعة النطاق ، وقد اطلق على تمردهم اصطلاح انتفاضة المهاجرين في اعمال الشغب التي حدثت موخرا في فرنسا وبعض المدن الالمانية .[١]

إشكالية اندماج الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية

من الاشكاليات الكبيرة التي تعترض حياة المسلمين في الغرب ، هي اندماجهم أوعدم اندماجهم في الواقع الجغرافي الجديد الذي هاجروا اليه . ويقضي الاندماج الى ضرورة ترك المسلمين لمفردات شخصيتهم والتي قوامها المسلكية الحياتية والتي رسمت أبعادها الثقافه الإسلامية ، فيما تعني الاستقلالية انعزال المسلمين عن الواقع الجديد الذي يعيشون فيه ، وعندها قد يصونون شخصيتهم ، لكن ذلك يجعلهم يراوحون مكانهم في السلم الاجتماعي والثقافي وحتى السياسي في الواقع الغربي .

واشكالية الاندماج أو الاستقلالية لم تصبح هما للمسلمين فقط ، بل أصبحت هما سياسيا يؤرق كافة الحكومات الغربية التي تتواجد على أراضيها جاليات مسلمة ، الى درجة ان العديد من الساسة الغربيين الاعضاء في الاحزاب الحاكمة في الغرب يرفضون تولي وزارة الهجرة والاندماج لعقدة الملفات المطروحة في اجندة هذه الوزارة ، وللاخفاقات الكثيرة التي منيت بها

(١) حامد ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

سياسات الهجرة والاندماج في الغرب[١] . رغم أن وزارات الهجرة والاندماج في الغرب تحظى بميزانيات كبيرة تفوق ميزانيات الوزارات الاخرى . وفي دراسة استطلاعية حول اندماج الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية ، اختارت الدراسة الجالية العربية ومدى اندماجها بالمجتمع الالماني ، فقد توصلت الدراسة من خلال الاستطلاع الى ان ارتفاع نسبة البطالة بين الجالية العربية القاطنة في المانيا على الرغم من حصول العديد منهم على شهادات عليا لعدم توفر فرص عمل لهم ، سبب في عدم اندماجهم في المجتمع الالماني . ومن الاسباب المهمة التي تحول دون الاندماج هو عدم اجادة اللغة الالمانية وهو مايمنعهم من التواصل مع المجتمع الالماني . فضلا عن تراجع نسبة الزواج من النساء الالمانيات ، وهناك عامل مهم أخر هوعدم الانتماء الى الجمعيات والاحزاب السياسية ، الذي يؤثر سلبا على عملية الاندماج في المجتمع الالماني [٢] .

اما المسلمون في الولايات المتحدة الامريكية يتوجهون نحو الاندماج في المجتمع الامريكي ونحو الانفتاح على خبرته التعددية ، ويدعم هذا الاتجاه على مستوى المنظمات المسلمة الامريكية بعدة ظواهر مثل المنظمات المسلمة الساعية الى التخصص ، وميلها الى الانفتاح على الحياة العامة الامريكية ، وسعي تلك المنظمات الى الاستعانة بالخبراء المتخصصين في ادارة عملهم . فالمسلمون في أمريكا ومنظماتهم منخرطون في علاقة اعتماد متبادل واسعة النطاق بينهم وبين المجتمعات المسلمة خارج الولايات المتحدة من ناحية ، وبينهم وبين المجتمع الامريكي من ناحية اخرى ، ويعني ذلك ان المسلمين في الولايات المتحدة يحصلون على المساعدات والموارد بأنواعها من اموال ومعرفة إسلامية ، ومعرفة بالواقع الامريكي ، وخبرات في ادارة المؤسسات الامريكية ، من الامة الإسلامية والمجتمع الامريكي في ان واحد [٣] .

ومن الجدير بالذكر، ان الاهتمام الغربي بسياسة الاندماج وسعي الحكومات الغربية الى استقبال جاليات من القارات الخمس ، ومن العالم الثالث على وجه التحديد ، سببه الرغبة في

---

(١) صرحت وزيرة الهجرة السويدية السيدة منى سالين قائلة " لقد صرفنا ملايين الكرونات – كل دولار يساوي ثمانية كرونات سويدية– على اقناع المهاجرين بضرورة الاندماج في المجتمع السويدي ، وكان يجب ان تصرف هذه المبالغ على اقناع السويديين في قبول الاخر . يحيي ابو زكريا ،العرب والمسلمون في السويد: الواقع والتحديات والافاق ، مجلة المستقبل العربي ، العدد٣٢٢،(بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،٢٠٠٥) ، ص ١٢٨.

(٢) محمد ناجي جوهر ،العرب في المانيا : السمات العامة والاندماج في المجتمع الالماني : دراسة استطلاعية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد٣٢٢ ، ص ص ١٠٢–١١٥ .

(٣) عوض ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

الحفاظ على التوازن السكاني ، وبعث الحيوية والروح في الواقع الاجتماعي والاقتصادي الغربي لاسيما في ظل التضاؤل الرهيب للسكان في الغرب .

واذا كانت العواصم الغربية قد أحدثت نوعا من التوازن السكاني واستطاعت ان تملأ المناطق الفارغة فيها بالقادمين من العالم العربي والإسلامي ومن العالم الثالث عموما . فان دوائر القرار في الغرب تولي اهمية قصوى لأمنها المستقبلي . وذلك يقتضي قطع اللحمة بين الجيل المسلم الذي ولد معظمه في الغرب وانتمائه الحضاري حتى لايكون الواقع الغربي واقعا اثنيا متعددا من الناحية الدينية . ويرى استتراتيجو الاندماج انه اذا لم يوجد أمل في تغيير ذهنيات وشخصيات الاباء بما ينسجم مع مفردات الحياة الغربية ، فيجب أن تخصص جهود لتغريب الابناء الذين فقد ٩٥%منهم اللغة الام ، والذين هم أكثر من أبائهم اندماجا بالحياة الغربية من خلال المدرسة والأندية ..... الخ ويعترف هؤلاء الاستتراتيجيون ان رهانهم الأساس هو على الابناء دون الاباء . لان الطفل المسلم يخضع لقواعد الغرب ويجعله اقرب الى الحياة الغربية من ابائهم [١] .

هناك أكثر من حاجز بين المسلمين والمجتمع الاوربي ، فالمسلم يعيش بجسده فقط ، وعواطفه وافكاره في العالم العربي ، مما جعلهم غير متابعين حتى للاذاعة والتلفاز للبلدان التي يعيشون فيها ، ما أدى الى عدم اتقانهم للغة وهذا يكون معوقا للاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها [٢] .فسياسة الدمج الاجتماعي تهدف في الحقيقة الى سلخ الجاليات المسلمة عن دينها وهويتها ، فقد سعت المنظمات والمجتمعات الاوربية الى الزام المرأه والرجل بالعمل والدراسة في أجواء لاتتناسب مع قيمنا ، والزام الاطفال الصغار بدور الحضانة ، وتغذيتهم بروح المجتمع وعاداته وثقافته ، والاخطر من ذلك هو ترك هؤلاء الاطفال من الصباح الباكر_ وحتى عودة الأباء والأمهات من اعمالهم التي الزموا بها _ بايدي كادر تعليمي يعرف مهمته تمام المعرفه ، وخلال ذلك تتم عملية تلقين الاطفال كما خطط لها ، فقد أعدت الدول الاوربية والغربية بشكل عام خططا محكمة لصهر المسلمين لديها في مجتمعاتها وأطلقت عليها مايسمى بـ (الدمج الاجتماعي) مايعني فقد الهوية الإسلامية لدى الجاليات المسلمة ، وهذه مشكلة لها أبعاد خطيرة جدا[٣] .

---

(١) ابو زكريا ، المصدر السابق ، ص١٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣١ .

(٣) المسلمون في اوربا واقعهم ومشكلاتهم ،ص ٢ www.amanjordan.org

ان مفهوم الاندماج لدى الاوربيين نوع من الذوبان في نسيج المجتمع الاجتماعي والحضاري والالتزام بالقوانين والانظمة التي تحدد واجبات كل فرد لذلك على المسلمين وضع خطط كفيلة باندماجهم بتلك المجتمعات مع الاحتفاظ بثقافاتهم وهوياتهم الدينية [١] .

ان همْ اندماج العرب والمسلمين في فرنسا مثلا يعود إلى مرحلة الهجرة الأولى من المغرب العربي وهمْ إيجاد العمل كان ولا يزال أولوية ملحة للعيش بشكل طبيعي أو شبه طبيعي ولكن العامل لابد له من مسكن وها هنا مشكلة أخرى مرتبطة بالسياسة العمرانية التي أنتجت ما يسمى الضواحي الساخنة والمتوترة بسبب كثافة السكان المنحدرين من أصول أجنبية في أحياء بعينها وقد أدركت السلطات الفرنسية أن تكدّس الأجانب في تلك الأحياء لا يأتي بخير. وكثيرا ما يصطدم الاندماج بسلوكيات عنصرية تقر الدولة بوجودها ولو تلميحا وتعمل على رصدها ومحاربتها والشارع الفرنسي لا يخفي وجود بعض العراقيل لاسيما في مجال العمل. فبعض مسلمي فرنسا يدقون ناقوس الخطر ويقولون أن الأمر لا يقتصر فقط على العنصرية بل هناك عداء تجاه الإسلام كدين ويدعون إلى جعل معاداة الإسلام كجرم معاداة السامية والكثير يحض أبناء المسلمين على الانخراط في العمل السياسي كحل ضروري. الاندماج له أيضا أبعاد قيمية ودينية ومن هنا جاءت فكرة إنشاء المجلس الفرنسي للدين الإسلامي على أمل أن يرعى الشؤون الدينية للمسلمين وينطق باسمهم في الأوساط الرسمية وأن تكون له كلمة في نزاعات تتعلق مثلا بارتداء الحجاب الذي رفضته مبادئ العلمانية في المدارس والمؤسسات العمومية على غرار ما ظهر من بقية الرموز الدينية والاندماج الديني، فضلا عن ارتباطها ببناء المساجد في فرنسا وهنا يتكفل المسلمون بإيجاد المال لبناء مساجدهم لأن العلمانية تعفي نفسها من أن تتكفل ببناء أي معلم ديني إلا إذا تبرعت الدولة ببعض المال أو الأرض في حدود المسموح به علمانيا كما حدث في مشروع بناء مسجد ستراسبورغ وفضلا عن الاندماج العمراني للإسلام فإن وجود المسلمين يقتضي وجود أئمة لهم يفقهون الواقع الفرنسي على عكس ما هو شائع ولأجل ذلك تسعى السلطات إلى إنشاء معاهد لتهيئة أئمة من مسلمي فرنسا كي تكون هناك استقلالية في الفتوى على الأقل فيما هو متعلق بواقع غربي. فهناك كفاءات، وعلماء ولكنها تحتاج الإطار القانوني حتى يمكن أن نقول هناك مشايخ فقهية بمعنى الكلمة ومن هذا المنطلق هناك اعتقاد بأن الشباب حتى لو انسجموا مرحليا أو نسبيا في هذا المجتمع ولكن لا يزالوا متشبثيين بالفتاوى التي تأتي من الأزهر ومن المدينة المنورة ومن البلدان المغربية هذا هو صحيح [٢].

---

(١) سياسة الاندماج بين مفهومي الاذوبان والانعزال، ص١ www.amanjordan.org

(٢) برنامج الشريعة والحياة ،عرض على قناة الجزيرة الفضائية ، عنوان الحلقة ، مسلمو الغرب ومشكلة الاندماج بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٣.

ولابد من الاشارة الى ان الكثير من العوائل المسلمة هاجرت الى البلدان الغربية بشكل عائلي أو فردي بمعزل عن العائلة وهو اخطر لان الشاب سيكون منفصلا عن العائلة فلاقرابة ولاتوجية وهذا يعني الانقلاب والتحرر من الالتزامات الدينية والثقافية والاجتماعية . والخطورة تزداد اذا كانت خلفية الشاب الثقافية والدينية والاجتماعية هشة . ومن هنا تتعقد المشكلة ولا نقول تنشأ، فهي قد نشأت منذ قرر أن يهاجر لوحده.ولما كان أكثر الذين يهاجرون من الشباب سواء مع عوائلهم أو لوحدهم لا يتوجهون لاكمال دراساتهم الاّ ما رحم ربي ولا يلتحقون بالمراكز الإسلامية والاجواء الدينية وانما ينخرطون مباشرة في سوق العمل فإنّ احتمالات تأثير الاجواء الجديدة بشكل سلبي عليهم كبيرة لدرجة الانصهار مع المجتمع الجديد، فلا يبقى من هوية الشاب المسلم سوى اسمها، والاّ فتصرفاته وحتى طريقة لباسه وتسريحة شعره ووضع السلاسل على رقبته ومعصمه وتساهله في الاختلاط والعلاقات غير الشرعية مع الفتيات .. تشبه الى حد بعيد بالشباب الغربي .

وربما تعقد الامر أكثر نتيجة غياب المراقبة والمحاسبة والشعور الديني بالمسؤولية، حتى يصل الى تعاطي المخدرات والانضمام الى منظمات مشبوهة أو معادية للإسلام. ان مشكلة التغريب عند الشباب تظهر وتتبلور أكثر عندما لا يكون الشباب والفتيات قد تلقوا تعليما أو تربية إسلامية سابقة على الهجرة، فلقد اتضح من خلال بعض الاحصاءات المهجرية ان العوائل الملتزمة والمحافظة والمتدينة التي تعاملت باسلوب التفاهم والصراحة والاحترام مع أبنائها هي الأقل عرضة لحالات انحراف الأبناء والبنات من الأسر التي أهملت واجباتها في التربية، الامر الذي يصل بها احياناً الى فقدان السيطرة تماما على ابنائها وبناتها حين يستمعون ويستمتعون بالخطاب الذي يقول لهم انكم شخصيات مستقلة ولا دخل للوالدين في شؤونكم الخاصة ..ولكم حريتكم التي لا يحق لأحد التدخل فيها.

ولذلك، وأمام مشكلة التغريب التي يعيشها الكثير من الشبان المسلمين والفتيات المسلمات، لابد من النظر الى المشكلة من أكثر من زاوية:[1]

١. ان دور الاسرة في المجتمعات الإسلامية خطير وكبير، فما بالك في المجتمعات غير الإسلامية، ان المسؤولية هنا تتضاعف، فاذا كانت الاسرة حكيمة في تعاملها مع ابنائها قلصت وخففت وربما تمكنت من الحد من عوامل الذوبان في المجتمعات الجديدة بما توفره من اجواءالانسجام والتفاهم والاحترام والحوار بين اعضائها.
٢. لابدّ من التفريق بين (الانصهار السلبي) و(الاندماج الذكي) فنحن لا نريد للشباب المسلمين أن يكون جزائر منفصلة عن المحيط .. كما لا نريد لهم أن يكون قطرات ذائبة في المحيط

(١) عادل القاضي ، مشكلة التغريب ... بين اندماج الشباب وانصهارهم ، ص ٣ www.copyright.com

.. فإذا انطلق الشباب المسلمون والفتيات المسلمات من قاعدة رصينة – نعني خلفية ثقافية ودينية جيدة – فإنّهم سيكونون عناصر تفاعل و تأثير جيدة في الدفاع عن دينهم وحقوقهم وقضاياهم.لقد لوحظ في بعض أوساط الجاليات المسلمة في الغرب ان المنطقة أو الحي الذي يعيش فيه مسلمون ملتزمون تتراجع فيه معدلات الجريمة والمخدرات والفساد الاخلاقي ما اعطى صورة طيبة للمؤسسات المعنية في الدول الاوروبية على أن في المسلمين من يحترم القوانين ويفي بالعهد والمواثيق، ولهذا الامر انعكاساته الطيبة في أسلوب التعامل بين تلك المؤسسات وبين المهاجرين(١).

٣. أما على صعيد الانصهار السلبي والأنبهار الذين يعمى ويصمّ، فلقد أفرزت تجربة الاغتراب جيلاً ليس بالصغير أو القليل من الذائبين من الرأس حتى أخمص القدمين بالمجتمعات الغربية، من جراء الاحساس بروحية الدونية والحقارة لانتماءاتهم السابقة، ومن خلال اجراء مقارنات مادية بحتة بين مجتمعاتهم التي كانوا يعيشون فيها والتي يسيطر عليها الظلم في الغالب وبين هذه المجتمعات التي تعيش الحرية والنظام والاستقرار، بل يتطوّر الأمر الى ما هو أسوأ من هذا وذاك الى الشعور بالعيب من الإسلام وقيم الدين، ففي حين تجد فتيات مسلمات واثقات من دينهن وشخصياتهن يقاومن محاولات اجبارهن على خلع الحجاب، ترى في المقابل بعضا من فتيات المسلمين من تخلع حجابها من دون أي ضغط وذلك مسايرة للفتيات الغربيات المتبرجات، أو المسلمات الضعيفات الالتزام.

٤. وكحل لمشكلة التغريب في أوساط الشباب نقترح ونشجع على السكن في المناطق التي تتواجد فيها جاليات إسلامية اكبر، لان الجو الاجتماعي الإسلامي له تأثيره في قوة الانضباط والانشداد الى الجماعة الإسلامية، كما أن ارتياد المراكز الإسلامية واختيار الاصدقاء الصالحين، واقامة نواد ومدارس إسلامية يلتحق بها الشبان والفتيات، بل وإيجاد اماكن للترفيه والتسلية الإسلامية ما أمكن ذلك، مما يساعد على الحفاظ على الهوية الدينية واللغة العربية وتأمين الحاجات النفسية والعاطفية للتواصل الاجتماعي وتحقيق الفرص المناسبة لنمو الثقافة الإسلامية التي تعد صمام الامان من الانصهار في المجتمعات الغربية(٢).

المشكلات التي يواجهها المسلمون في المجتمعات الغربية

(١) سياسة الاندماج بين مفهومي الذوبان والانعزال ،ص ٤

(٢) القاضي ،المصدر السابق ، ص٣

تختلف التحديات التي يواجهها المسلمون من بلد لآخر: حرب الحجاب في فرنسا، تهميش الجالية المسلمة في ألمانيا، وتركهم في "الفيتو" في بريطانيا أو الولايات المتحدة. ولا يفسر النشاط الديني للمسلمين الأمريكيين بخصوصية الإسلام المهاجر، بل بالوضعية الخاصة للبعد الديني، الذي هو جزء لا يتجزأ من الحياة المدنية للأمريكيين، أما في أوروبا، فتجعل المرحلة المتطورة لعلمنة الأخلاق والعقليات الاعتراف بالإسلام أكثر إشكالية. وتظهر مسالة التنظيم المؤسساتي كقضية أوروبية، ترتبط بخصوصيات العلاقة بين الدول والكنائس اكثر منها مسالة عدم قدرة المسلمين على التكيف مع مبدأ فصل السياسة عن الدين، وإذا كانت كل الدول الأوروبية تعترف بحرية العبادة، فان مسألة الفصل بين الدولة والكنائس ليست القاعدة العامة. ويرتبط تنظيم المسلمين ومطالبهم بالإطار القانوني الموجود[١].

وهناك مشكلات عديدة وصعوبات تواجة الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية يمكن اجمالها فيما يلي :

١. عدم الاعتراف الرسمي بالدين الإسلامي

في البلدان التي يوجد فيها اعتراف قانوني بجميع الديانات (بلجيكا وألمانيا واسبانيا) تسرع عملية إضفاء طابع المشروعية المؤسساتية على الإسلام. هكذا يعترف القانون الإسباني بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٩٢ بحق ممارسة شعائر الدين الإسلامي، التي تضم معظم المجتمعات والفدراليات الإسلامية. ومنذ ١٩٧٤، اعترفت بلجيكا بممارسة الشعائر الإسلامية، ولعبت دورا رائدا في أوربا، حتى ولو انتظرت عام ١٩٨٨ لانتخاب المجلس الإسلامي المخاطب الوحيد للدولة البلجيكية.وترجع مقاومة الاعتراف بالإسلام إلى مسألة عقليات أكثر منها مسألة عوائق مؤسساتية، وفي ألمانيا، تصطدم مطالبة أهم الجمعيات الإسلامية بالاعتراف بها كمنظمات دينية (الاستفادة، مثلا، من الإعفاء الضريبي) بعائق أساسي هو أن المجتمع الألماني ليس مستعدا للاعتراف بالإسلام[٢].وفي الحالات التي يوجد فيها دين الدولة (في بريطانيا أو الدانمارك أو اليونان)، تمنح ديانة الأقليات نفس الحقوق. ومنذ وقت طويل، يناضل المسلمون البريطانيون لتقبل الدولة المدارس الإسلامية. ولايشكل الاعتراف مؤخرا بالمدارس التي يشرف عليها يوسف إسلام (هو المغني الشهير، "كات ستيفنس" الذي أسلم في السبعينات) إلا تقدما محدودا للإسلام في بريطانيا.وحتى في البلدان التي تفصل بشكل حاسم بين الدين والدولة، مثل فرنسا، فما زالت مسألة المشروعية المؤسساتية مطروحة. ومنذ ١٩٨٩، أصبح تنظيم الإسلام قضية الدولة في

(١) ادريس الكنيوري عن اللموند الفرنسية ٢٠٠٢/٦/٨

(٢) سياسة الاندماج بين مفهومي الذوبان والانعزال ،ص٣

فرنسا، بحيث حث وزير الداخلية التيارات والجمعيات الإسلامية على تقريب وجهات نظرها، لكنه لم يفلح في الأمر. وآخر المستجدات في الموضوع، عرفها شهر أكتوبر ١٩٩٩، إذ اقترح وزير الداخلية على الجمعيات الإسلامية توقيع نص يذكر بالمبادئ القانونية المؤسسة للعلاقة بين الدين والدولة قابل للتطبيق على تنظيم الإسلام في فرنسا، ورغم رفض بعض قياديي الجمعيات الإسلامية للأمر الذي اعتبروه منافيا لروح قانون العلمانية، فقد وقع معظم ممثلي الإسلام الفرنسي على هذا النص، بتاريخ ٢٨ يناير ٢٠٠٠[١].ومنذ ذلك الحين، تتواصل المشاورات.أما المجتمع الأمريكي فنلاحظ بأنه مازال هناك تمييزآ واضحآ. ونلمس هذا مثلا في وسائل الإعلام، بحيث تتفق نشرات الأخبار المتلفزة وأفلام هوليود على جعل الإسلام مشابها للإرهاب، وهذه النظرة قد تؤثر على المسلمين في حياتهم اليومية. فبعد تفجير مركز التجارة العالمي، تعرض المسلمون الأمريكيون للتحرش والتهديد. وهذا يذكرنا بتنامي مشاعر العداء تجاه الشباب المغربي الفرنسي عقب التفجيرات التي عرفتها باريس عام ١٩٩٥.لكن على عكس أوروبا، يتوفر لمسلمي أمريكا وسائل مهمة بالفعل، إذ تشكل حرية التعبير عنصرا مهما داخل المجتمع المدني وتترجم إلى وسائل قانونية متزايدة في يد المواطن، وتحاول العديد من الصحف والمؤسسات والمنظمات التصدي للخطاب السائد الداعي إلى تشوية الإسلام [٢].وهناك عمل مهم لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية، هذه الجمعية تناضل ضد جميع أنواع التميز في حق المسلمين. وهذه الجمعيات كسبت قضايا أمام المحاكم الأمريكية ضد شركات كبرى، مثل شركة الملابس والأجهزة الرياضية "نايك" ، لانها استعملت رموزا إسلامية ومست مشاعر المسلمين أو أنها أقصت مستخدمين مسلمين بسبب عقيدتهم.ورأت العديد من الجمعيات الإسلامية الضاغطة النور في أمريكا خلال السنوات العشر الأخيرة. وفي عام ١٩٩٠ أسس مثقفون ومناضلون مسلمون المجلس الإسلامي الأمريكي الذي يتصل بالبيت الأبيض والكونغرس قصد المحافظة على هوية وحقوق الجماعة الإسلامية، ولتقوم بدور الوسيط بينها وبين السلطات الأمريكية. ومن أهم القضايا التي تدافع عنها هي الحصول على الاعتراف السياسي للجماعة الإسلامية مثلها مثل باقي الجماعات الدينية الأخرى.

أما في أوروبا فلا يستطيع المسلمون الدفاع عن قضيتهم بطريقة مماثلة. وأخيرا، كان على المجلس الإسلامي الأمريكي أن يتدخل لدى القنصلية الفرنسية في شيكاغو لصالح شابة مسلمة لتأخذ صورة وهي ترتدي الحجاب. هذا ما لم يحصل عليه المسلمون الفرنسيون في فرنسا. لكن انبثاق الصوت المسلم الأمريكي ينبع من الخصوصيات الاجتماعية والاقتصادية للسكان

(١) حامد ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

(٢) عوض ، المصدر السابق ، ص ٨٠

المهاجرين، أذ نجد هناك أكبر تمركز للنخبة المسلمة، ويفوق عدد الأطباء والجامعيين والمهندسين ورؤساء المقاولات بها نظرئهم في الدول الإسلامية والمجتمعات الأوروبية، وهذا ما يفسر حيوية وديناميكية الفكر الإسلامي الأمريكي. ونلاحظ أن مثل هذه النخبة لم تتطور في فرنسا، حيث ترتبط الهجرة بالفئات الفقيرة التي هاجرت من دول المغرب العربي وإفريقيا والهند وباكستان، وبالفعل كان المرشحون للهجرة على العموم، هم العناصر الأكثر هشاشة اقتصاديا والأقل تعليما داخل مجتمعات المصدر. كما أن التفاوت الاجتماعي الذي يجب ملؤه داخل المجتمعات الأوروبية، يظل كبيرا، حتى لو أمكن تسجيل تحسن ملحوظ في صفوف الأجيال اللاحقة مع ظهور الطبقات المتوسطة، وكذلك مع بروز بعض الرموز الثقافية التي تكونت في أوربا [١] .

٢. الذوبان في المجتمعات غير الإسلامية:

لقد أعدت الدول الأوروبية وغيرها خططًا محكمة لصهر المسلمين لديها في مجتمعاتها، وأطلقت على ذلك: الدمج الاجتماعي، ما يعني فقد الهوية الإسلامية لدى الجاليات المسلمة، وهذه مشكلة ترجع خطورتها لأسباب عديدة من أهمها:

أ. عدم وجود الحصانة الدينية اللازمة، والثقافة الإسلامية الكافية لدى الكثير من هؤلاء الناس، فيتأثرون بالأوضاع السائدة في تلك المجتمعات ويتطبعون بقيمها وأخلاقها، ويتجردون شيئًا فشيئًا من المبادئ والأخلاق الإسلامية، ثم يذوبون كليًا أو جزئيًا في المجتمع الذي يعيشون فيه [٢] .

ب. كما أن فريقًا منهم يصاب بالانبهار الحضاري لما يرى من تقدم تلك الأمم في العلوم والفنون، وتنظيم شؤون الحياة، وما يلحظه من إنجازات عظيمة تعد من أعظم ما وصل إليه العقل البشري حتى هذه الأيام، فتتضاءل أمته بتاريخها وأصالتها، بل ودينها في نظر هذا الفريق من الناس، فيقلدون تلك المجتمعات بخيرها وشرها، وقد يغيرون أسماءهم، ثم يذوبون ذوبانًا كاملاً.

ج. وهناك سياسة الدمج الاجتماعي التي سبقت الإشارة إليها، وتهدف في حقيقة الأمر إلى سلخ تلك الجاليات عن دينها وهويتها وإن لم تُظهر نفسها بهذا الشكل.إن إلزام الرجل والمرأة بالعمل والدراسة في أجواء لا تتناسب مع قيمنا هو واحد من بنود هذه السياسة، وإلزام الأسرة بإلحاق الأطفال الصغار بدور الحضانة، وتغذيتهم بروح المجتمع وعاداته وثقافته بند آخر من بنود هذه الثقافة، بل هو أخطر هذه البنود، حيث يترك هؤلاء الأطفال من الصباح الباكر وحتى

---

(١) الكنيوري ، المصدر السابق .

(٢) مشكلات الجاليات الاسلامية في اوربا ،ص ٥ www.amanjordon.org

عودة الآباء والأمهات من أعمالهم التي ألزموا بها بأيدي كادر تعليمي يعرف مهمته تمام المعرفة، وخلال ذلك تتم عملية التشكيل كما يريد هؤلاء [١] .

٣. الفرقة والاختلاف:

لقد نقلت الجاليات المسلمة من بلادها خلافاتها المذهبية، وصراعاتها الحزبية، وجعلت أجواء الحرية المتوفرة في بلاد المهجر الفرصة سانحة لإعلان المواقف، وتوزيع الكتب والنشرات، ما وسع الهوة وزاد في حدة الخلاف.والحركات الإسلامية . التي يُفترض أن تكون أمل الأمة، وواسطة العقد التي تلتقي حولها . جماعاتُها متفرقة فيما بينها، ليس لها اتحاد يضمها، ولا قيادة واحدة تجمعها [٢] .

٤. بروز جماعات الغلو والتطرف:

مما يؤسف له تبني بعض الجماعات أو الأفراد لهذا الأسلوب المنافي لسماحة الإسلام، بسبب غياب الفقه الراشد عن أذهانهم نتيجة فقر البيئة الأوروبية للعلماء، ولأسباب أخرى أفرزها تعصب من هنا أو هناك، وقد نجم عن ذلك وضع الإسلام والمسلمين في دائرة الضوء، فتضاعفت مشاعر التعصب والكراهية ضد المسلمين عمومًا، وارتفعت أصوات تنادي بطردهم من أوروبا، وفُرضت قوانين جديدة ما كانت قبل ذلك [٣] .

٥. غياب المرجعية الإسلامية:

إن غياب الفقه القويم، والوعي السليم أدى إلى اختلافات في الرؤى جعلت التوافق بين جميع الأطياف الإسلامية أمرًا صعبًا.ونتيجة لذلك بات لكل مؤسسة إسلامية فكرها الذي تستقل به عن غيرها، وفي ظل هذه الفرقة غابت الوحدة عن عملها، وافتُقد التنسيق فيما بينها إلا في أضيق الحدود. وفي ظل هذا الوضع أيضًا فقدت الجاليات المسلمة المرجعية الدينية التي ترجع إليها في فتاواها، وتركن إليها لحل مشاكلها [٤] .

٦. غياب الزعامة السياسية:

---

(١) المسلمون في اوربا واقعهم ومشكلاتهم ، ص ٢

(٢) سيلسة الاندماج ،ص٤

(٣) المصدر نفسه ، ص٥

(٤) المسلمون في اوربا واقعهم ومشكلاتهم ، ص ٣

تقوم الأحزاب السياسية في المجتمعات الغربية بالتنافس السلمي للحصول على أصوات الناخبين، وتطبيق برامجها السياسية التي فازت بموجبها. ورغم أهمية هذا الأمر إلا أن المسلمين في تلك البلاد يفتقرون إلى حزب سياسي يتبنى مطالبهم، ويحصل لهم على حقوقهم.

إن وجود زعامة سياسية للجاليات المسلمة تجعل الأحزاب السياسية تخطب ودها للحصول على أكبر عدد من أصوات الناخبين يُمكّن الحزب الفائز من تشكيل الحكومة، وتسيير دفة الحكم. ولو وُجد حزب سياسي بزعامة حكيمة يعقد مع الأحزاب الأخرى اتفاقيات، ويقيم تحالفات لتحققت للمسلمين في تلك البلاد حقوق أكثر بكثير مما هم عليه الآن [١] .

٧. غياب القوة الاقتصادية:

إن العامل الاقتصادي أمر في غاية الأهمية، تقوم من أجله صراعات، وتنشب في سبيله حروب، ويتم من خلاله الضغط على السياسيين والتأثير في سياسة الحكم.وقد استطاع اليهود بهذه الوسيلة وغيرها من الوسائل التأثير في السياسيات الأمريكية والأوروبية لإمساكهم بزمام القوة الاقتصادية.أما المسلمون في أوروبا وأمريكا فليس لهم قوة اقتصادية مؤثرة، لهذا فقدوا التأثير السياسي والإعلامي، فضلاً عن الاقتصادي الذي نحن بصدده الآن [٢] .

٨. غياب الوسائل الإعلامية:

لقد بات الإعلام في هذه الأيام سلاحًا فعالاً في تشكيل العقول، وتغيير القناعات، وحشد الطاقات. وتمكنت بعض الدول بواسطة إعلامها القوى من قلب الحقائق، وترسيخ الأباطيل على أنها حق لا ريب فيه وتتفاقم المشكلة إذا علمنا أن الإعلام الغربي يظلم المسلمين فيبخسهم حقوقهم، ويضخم أخطاءهم، ولا ينشر آراءهم ومقالاتهم، ويتم ذلك كله في الوقت الذي لا نجد فيه وسيلة إعلامية حتى لو كانت متواضعة تدافع عنهم، وترد على ما يكتب ضدهم [٣] .

٩. تفاقم المشكلات الاجتماعية:

إن الحياة التي يعيشها المسلمون في أوروبا في ظل القوانين التي صاغها الأوروبيون بما يتناسب مع ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم تصطدم في بعض تفاصيلها مع عقيدتنا وعاداتنا وتقاليدنا،

---

(١) الجوهر ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٢) الكنيوري ، المصدر السابق .

(٣) عبد الباسط عبد العزيز ، واقع الاقلية المسلمة في بريطانيا، ص١ ، شبكة المعاومات الدولية ، رابطة العالم الاسلامي

وكثيرًا ما يلجأ أحد الزوجين إلى هذه القوانين إذا ما شعر أنه المستفيد منها،حتى ولو كانت مخالفة لدينه ومبادئه، وهذا ما يؤدي إلى إشكاليات كثيرة لا سيما في مجال الأسرة [١].

١٠. بروز المشكلة الثقافية:

تعاني الأجيال المسلمة في أوروبا من هذه المشكلة، لأنها تتلقى تعليمها في مختلف المراحل في أجواء بعيدة عن الالتزام الإسلامي. ومما يزيد المشكلة تعقيدًا غياب التوجيه الديني، والإرشاد الخلقي، وإذا ما أضيف إلى ذلك غياب الرعاية الأسرية، فاصبح هؤلاء يمارسون الفساد، وينتحل بعضها الإجرام.ويحاول المهتمون بأمور المسلمين في الغرب علاج المشكلة الثقافية عن طريق افتتاح مدارس رسمية تتلافى ثغرات المدارس الحكومية، لكنها لا تسد الحاجة لقلة عددها، وضعف كفاءتها، ولأنها –في الغالب– لا تتعدى المرحلة الإعدادية[٢].

(١) برنامج الشريعة والحياة

(٢) المسلمون في اوربا واقعهم ومشكلاتهم ، ص٣

الخاتمة

ان قضية الجاليات والعمالة المسلمة المهاجرة قضية ذات ابعاد حضارية وسياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية تفرض نفسها على العلاقات بين اوربا وامريكا من جهه والمسلمين من جهه اخرى ، وتحتاج الى معالجة حضارية وسياسية وتنموية جذرية . ومما لاشك فيه ان جزءا من حل قضية الجاليات المسلمة يكمن في تقديم حلول للمشكلات السياسية والتنموية التي تواجه العالمين العربي والإسلامي ، وذلك لتحقيق تسوية دائمة وعادلة ومستقرة.

تحمل صورة الإسلام والمسلمين في اوربا صورة نمطية مشوهه ،واهم ملامح هذه الصورة النمطية صبغ الإسلام بصبغة التخلف والعنف والتطرف ،لكن يتوجب على المسلمين مسؤولية التخلص من الكثير من مسببات الصورة النمطية غير الايجابية ، وكذلك التخلص من مظاهر الضعف والانحطاط في الكثير من المجالات .

وبعد أحداث ١١/سبتمبر ٢٠٠١ تفاقم حجم التحديات تجاه الجاليات المسلمة منها : الحقوق المدنية ، اذ تعرض المسلمون الى المضايقات والتمييز بعد شهور قليلة من أحداث ١١/ سبتمبر. وكذلك زيادة في معدلات التشوية ضد الإسلام والمسلمين بشكل غير مسبوق ، فضلا عن اقرار الحكومات الاوربية والامريكية العديد من القوانين والسياسات التي تستهدف المسلمين القاطنيين فيها ، ما الحقت ضررا بالغا بالجاليات المسلمة .

لذا على الجاليات المسلمة أن تواجه المشكلات والضغوط التي تتعرض لها ، وتعمل على بناء المؤسسات القادرة على الحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية مثل المساجد والمدارس والجامعات الإسلامية والمؤسسات الراعية لها ، فضلا عن العمل على تشجيع المسلمين على المشاركة في العملية السياسية لحماية وجودهم وانجازاتهم على المستويات الحياتية الاخرى.والسعي لايجاد احزاب وزعامات سياسية يكون لها دور في الانتخابات ، وتقيم التحالفات كي تحقق للجاليات مكاسبها وطموحاتها . كما عليهم ان يؤسسوا صحافة قادرة على ايصال الاصوات الرافضة للتشويه الموجه ضد الإسلام والمسلمين ، وان تمتلك هذه الصحافة كتّاب روايات ومقالات ...الخ ، فضلا عن بناء مركز فكري مرموق في المدن الاوربية والامريكية . وكذلك ضرورة امتلاك اذاعات وقنوات تلفزيونية تبث خلال ٢٤ ساعة لنشر أراء وأفكار المسلمين والدفاع عن قضاياهم وابعاد التهم والتشويه الموجه ضدهم .

قائمة المصادر

الكتب :

١. سامي الخزندار ، المسلمون والاوربيون نحو اسلوب افضل للتعايش ، (مركز ال موفق الامارات للدراسات والبحوث الاستتراتيجية،١٩٩٧) .

٢. علي الامين المزروعي ، القيم الإسلامية والقيم الغربية ، (مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستتراتيجية ، بلا) .

٣. موفق بني المرجة ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، (الكويت، مؤسسة صقر للنشر، ١٩٨٤) .

4. Commission on British Muslims and Islam phobia , Islam phobia : Its Features and Dangers ,(London ,1997)

البحوث :

١. برهان غليون ، مستقبل الجاليات العربية في اوربا ، المستقبل العربي ، العدد ٢٠٩ تموز ١٩٩٦.

٢. محمد ناجي جوهر ،العرب في المانيا : السمات العامة والاندماج في المجتمع الالماني: دراسة استطلاعية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد٣٢٢ .

٣. ناصر حامد ، المهاجرون في اوربا بين مكافحة الارهاب ومشكلات الاندماج ، السياسة الدولية ، العدد ١٦٣، يناير ٢٠٠٦.

٤. ندوة العرب واوربا ، محمد حسنبن هيكل ، (تعقيب) ، الباحث العربي ، العدد ٢٠ ، تموز- ايلول ١٩٨٩ .

٥. نهاد عوض ، المسلمون الامريكيون : الواقع وامكانات النمو ، المستقبل العربي ، العدد ٣٢٢، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،٢٠٠٥) .

٦. هرفي لوبرا ، الاجانب ارقام ورموز ، العالم العربي في البحث العلمي ، معهد العالم العربي ، باريس، ١٩٩٦ ، عدد ٦ .

٧. يحيي ابو زكريا ،العرب والمسلمون في السويد: الواقع والتحديات والافاق ، مجلة المستقبل العربي ، العدد٣٢٢،(بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،٢٠٠٥) .

برنامج الشريعة والحياة
وكالات الانباء العربية
شبكة المعلومات الدولية